

منهجية نقد نصوص نهج البلاغة (الخطب التوحيدية نموذجًا)

انسية عسكري^١، محسن رفعت^٢

تاريخ القبول: ١٤٤٠/٠٥/٠٥

تاريخ الاستلام: ١٤٤٠/٠٣/٢٢

١. أستاذة مساعدة في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة السيدة معصومة (س)، قم (الكاتبة المسؤولة)؛ asgari.nc@gmail.com

٢. أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة السيدة معصومة (س)، قم؛ mohsenrafaat@gmail.com

Methodology of Critique of Nahj-ul-Balagha: A Case Study of Monotheism Sermons Enesiyeh Asgari¹, Mohsen Rafat²

Received: 30 November 2018

Accepted: 13 February 2019

1. Assistant professor, Department of Quran Science and Hadith, Hazrat-e Masoumeh University, Qom; asgari.nc@gmail.com

2. Assistant professor, Quran and Hadith Department, Hazrate-eMasoumeh University, Qom; mohsenrafaat@gmail.com

Abstract

One of the main goals of the critique of old texts, which is the basis of studies in different religions, is to find the author and owner of the text. Nahj-ul-Balagha is a book whose historical identity has long been the target of Shiite and Sunni critique. This research explores the critique methodology of this text. The method of criticizing the text of Nahj-ul-Balagha, due to its unique characteristics, can be presented in three general stages of narrative critique (redaction criticism), critique of the sources and documents (source criticism), and critique of the style (form criticism). However, only the outcome of these three stages and their aggregation can be considered a real and reliable critique of the text. Regarding the monotheistic sermons, although each of the stages of the critique of the text has a different consequence, combination of these stages admit the truthfulness of the attribution of these sermons to Imam Ali (PBUH). Eliminating the drawbacks, such as single-stage perspective, unfounded criticism, repetition of previous claims, disregarding the possibilities of meaning, and reducing historical critique to traditional one will improve the method of criticizing the text. Using analytical method and considering the historical critique of sacred books, the present study attempts to provide a suitable and comprehensive model for criticizing the text of Nahj-ul-Balagha.

Keywords: methodology, text criticism, historical criticism, Nahj-ul-Balagha, monotheism sermons.

الملخص

إنّ أحد الأهداف الرئيسية لنقد النصوص القديمة التي تعتبر أساساً في دراسات النصوص القديمة الموجودة بين الأديان و المذاهب هو العثور على المؤلف وصاحب النص. ويعتبر "نهج البلاغة" الكتاب الذي طالما كانت هويته التاريخية مصدر النقد الشيعي والسني. يتطرق هذا البحث إلى النقد المنهجي لهذا النص. نظراً لخصائصه المميزة، فإن منهج نقد نص "نهج البلاغة" يمكن تحقيقه على ثلاث مراحل: نقد الصياغة والرواية، نقد الموارد والإسناد ونقد الأسلوب؛ ولا يمكن الحصول على نتائج صحيحة وواقعية لنقد النص إلا من خلال هذه المراحل الثلاث. فيما يتعلق بالخطب التوحيدية، وعلى الرغم من أن كل مرحلة من مراحل نقد النص لها إنجاز مختلف بشكل مستقل، إلا أن المراحل الكلية تشير إلى انتساب ما سبق ذكره من الخطب إلى الإمام علي (ع) إن إزالة الأضرار، مثل النظرة أحادية المرحلة، والنقد غير العقلاني، وتكرار الادعاءات السابقة، وتجاهل إمكانات المعنى، وتقليص النقد التاريخي إلى النقد التقليدي، سيساعد في تقدّم الطريقة الصحيحة لنقد نص نهج البلاغة وإثرائه. يحاول هذا البحث تقديم قالب مناسب وشامل للنقد التاريخي لنص نهج البلاغة.

الكلمات المفتاحية: المنهجية، نقد النص، النقد التاريخي، الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الخطب التوحيدية، دراسة أضرار النقد.

١. المقدمة

المؤرخون في تحديد أصالة الحديث على نقد المستند ونص الحديث الشريف (جمال الدين، ١٩٨٣: ١ - ٢. و ١٤؛ بهائي، د. تا: ٢٦٩ - ٢٧٠)، وحاول القدماء أيضاً لنقد نص الحديث من القراءة المتعلقة بالنص والقراءة الضمنية للتحقق من أصالة صدور نص الحديث (بهائي، د. تا: ٢٦٩ - ٢٧٠).

لذلك فإن الاسترجاع الكامل لمكونات المنهج التقليدي للنقد سيساعد على منهجية النقد الحديث. ولكن بما أن هذين العلمين يختلفان من حيث الأساس، فلن تكون النتائج واحدة في بعض الأحيان. في المنهج التقليدي للنقد، يتم تقييم النص فقط من القاعدة الداخلية للدين على أساس توافقه مع العقل والشعور والمعتقدات الدينية، في حين أنه من المهم في انتقاد النص أخذ الحقائق التاريخية ولغة ونسيج النص بعين الاعتبار لتحديد هويته التاريخية. على الرغم من هذا التمايز في الطبيعة، يعتبر النقد التقليدي لنقد الهوية التاريخية للنص أداة، وبالتالي، في خلفية مناقشة المنهجية التي هي موضوع هذا البحث، يجب التركيز قبل كل شيء على الأعمال التي تستند إلى علم التاريخ. هذه الأعمال قليلة باللغة الفارسية.

إن كتاب «نقد النص» من تأليف الدكتور باكتجي، من مطبوعات جامعة الإمام الصادق وكتاب مناهج البحث في التاريخ، من تأليف ساماران، المترجم والمنشور من قبل العتبة المقدسة، هي من الأعمال التي درست منهجية النقد التاريخي بشكل عام وإجمالي، ولكن لا يوجد عمل يتضمن نقد نص نَحج البلاغة بشكل خاص. حتى أن الأعمال التي تضمن عناونها عبارة "نقد النص"، لم تتجنب ذكر منهجها فحسب، بل لم تكن سوى عبارة عن استجابة للنقد ولم تقدم أي نقد يمكن من اكتشاف منهجها الضمني ويمكن الإشارة إلى مقالات "نَحج البلاغة والنقد التاريخي". (الوجود والعدم مثلاً) من تأليف شفيعي، "شبهة وجود المصطلحات الفلسفية في نَحج البلاغة" من تأليف حاجيخاني وجليليان. يتطرق هذا البحث إلى منهج النقد التاريخي والاهتمام بالميزات الخاصة لنهج البلاغة ويعتبر نقد هذا الكتاب من حيث المصادر والأسناد، الصياغة والرواية، والأسلوب أمراً

نقد النص^١ هو تقييمه ودراسته، وهو أساس الدراسات الدينية بغض النظر عن النقد التحليلي ونقد المحتوى الذي قد يتبادر إلى الذهن من النظرة الأولى، فإن أحد أهم قضايا نقد النص هو تحديد هوية النص وتحديد المؤلف، والذي يتم وصفه أيضاً كنقد تاريخي للنص.

يحتوي نَحج البلاغة على جزء مهم من تاريخ الإسلام والمعتقدات والأفكار والتعاليم الدينية وغيرها في المذهب الشيعي، وبسبب مكانته بين النصوص الدينية، فقد تم انتقاد الهوية التاريخية له لفترة طويلة، وتم التشكيك به. ولم تطرح تحديات هوية نَحج البلاغة من قبل مخالفى التشيع فحسب (ابن خلكان، د. تا: ٣/٣١٣؛ الذهبي، ١٣٨٢: ٣/١٢٤؛ الصفدي، ١٤٢٠: ٧/٢١). فقد شكك بعض علماء الشيعة في الاستناد إلى بعض نصوصه (شوشتری، ١٩٩٧: ٤/٤٨١ و ١٢/٤٦٧).

بسبب الأهمية الدينية الخاصة لهذا النص، فإن هذه الانتقادات تثار دائماً في الخطاب الديني، وما هو أقل اعتباراً طريقة نقد النص. بعبارة أخرى، في حين أن نقد الهوية التاريخية للنص هو اليوم حقل علمي، فإن المواجهة الدينية بارزة في سياق نَحج البلاغة أكثر من المواجهة العلمية لهويته.

سنعتمد في هذا البحث على الخطاب التوحيدية في مناهج نقد نص "نَحج البلاغة" وطريقته من أجل إجراء نقد تاريخي لهذا النص. وبالتالي، فإن السؤال الرئيسي لهذا البحث هو كيف يكون أسلوب نقد النص لتحديد الهوية التاريخية لنهج البلاغة؟ كيف يمكن دراسة أصالة نَحج البلاغة بشكل علمي ومعيارى؟ ما هي الأضرار الواقعة أو المحتملة في منهج نقد نص نَحج البلاغة؟

إن نقد النص، أولاً وقبل كل شيء، أمر عقلائي، وقد أدرك المسلمون هذا بالتأكيد من البداية، وطبقاً للكثير من الشواهد، فقد استخدموه في نصوص مختلفة. (باكتجي، ٢٠١١: ١١ - ١٥) في علم الحديث بشكل خاص، هناك معرفة علمية كبيرة لنقد النص، وفي هذه المعرفة، يوجد نقد وافٍ للنص. (مهريزي، ٢٠٠٢: ٥) وقد اهتم العلماء

في مواضع كثيرة بأنه هو من قام بتجميع الكتاب. على سبيل المثال، فقد بين ذلك في خمسة مواضع من كتاب "مجازات الآثار النبوية" (الشريف الرضي، ١٤٢٢ق: ٥٤، ٧٩، ١٩٢، ٢٣٧، ٣٥٢). كما بين ذلك في "حقائق التأويل" وهو تفسير للقرآن الكريم. (م. ن: ١٦٧) وفي مقدمة نَحج البلاغة بين ذلك أيضًا كما أشار إلى دوافع إعداد الكتاب (م. ن: ٣٥).

ب) إجازات سيد مرتضى: سنة الإجازة عبارة عن طريقة يتم من خلالها التحمل والأداء في الحديث وهي أمر مرسوم بين علماء الشيعة. في التحمل، يسمح الشيخ وأستاذ الحديث لتلاميذه بنقل أحاديث كتابه أو كتاب آخر. (ابن طاووس، ١٩٩٦: ٨٤) إن إجازة سيد مرتضى لبعض تلاميذه حيث يقول "أجزت لفلان رواية كتاب أخي" تشير إلى أن نَحج البلاغة ليس من تأليف سيد مرتضى (حسيني خطيب، ١٤٠٢ق: ١/٢٠٦).

ج) تصريحات كبار العلماء المعاصرين للشريف الرضي ومَن جاء بعده: العلماء الذين شاهدوا نَحج البلاغة وأحصوا خصائصه واعتبروه من إعداد الشريف الرضي (كشي، ١٩٨٤: ٩٦-٩٧).

د) الإجازات المتعددة لرواية نَحج البلاغة: توجد ٢٣ إجازة منذ عصر الشريف الرضي (أميني، ٢٠١٨: ٤/١٩٣). وتبدأ من بنت سيد مرتضى وتمتد إلى العديد من الأفراد الآخرين (نوري، ١٤٠٨: ٣/٨٩٨٨). هـ) جميع شارحي نَحج البلاغة يتفقون على أنه من إعداد الشريف الرضي (عرشي، ١٩٧٢: ٥-١٣).

٢.٢. الزيادة والنقصان في النص

في المخطوطات الموجودة من نَحج البلاغة، لا يوجد أدنى اختلاف في قسم الخطب والرسائل، ولكن يوجد اختلاف في قسم الحكم، فبعض النسخ أقصر وبعضها أطول، وهذا ما يثير التساؤل حول أنه هل أضيفت مواضع إلى كلام الإمام (ع)؟ يجدر بنا القول أن الشريف الرضي قد أعد نَحج البلاغة على مراحل، ومما يؤيد ذلك وجود مخطوطات مختلفة لدى الشارحين، حيث يبين ابن أبي الحديد عن وجود ٣ مخطوطات لديه على الأقل إحداها تنتهي عند الحكمة ٤٤٣. (ابن أبي

ممكنًا. في النقد التاريخي للكتاب المقدس، يتمثل الهدف الرئيسي في إدراك النص ولكن قد تكون هناك أهداف فرعية أخرى ذات أولوية مثل تحديد مبدأ النص (سولين، ٢٠٠١: ٧٩). في قسم نقد الصياغة والمصادر، فإن منهج نقد النص واحد لجميع المواضيع، بينما يختلف المنهج حسب الموضوع في نقد الأسلوب، حيث تمت دراسة خطب التوحيد مثالًا.

٢. نقد الصياغة والرواية

ينتمي كتاب نَحج البلاغة مثل كتب الحديث إلى فئة الإعداد والجمع. يختلف تاريخ إعداد هذا الكتاب عن تاريخ ظهور محتواه. نظرًا لانعدام أداة نشر الكتاب، فإن نسخه باليد يقترن باحتمالات وجود أخطاء كثيرة فيه^١. كما هو الحال في نقد الكتاب المقدس، يُشار إلى طريقة جمع النص وترتيبه وتصحيحه كنقد تحريري. (داونينغ، ٢٠٠٧: ٣١٠)، في نقد الصياغة والرواية، يتم فحص القضايا من النوع الذي يساهم في تقييم صحة النص. من هو مؤلف النص؟ كيف تصرف في النص؟ هل روى بشكل صحيح؟ ما هي الأخطاء السهوية التي ارتكبتها؟ هل هذه الأخطاء مؤثرة في إحالة النص؟ ما هي الاختلافات بين الروايات أو النسخ المختلفة للنص؟

١.٢. تاريخ ظهور وتدوين نَحج البلاغة

يعتبر نَحج البلاغة من النصوص التي يتفق الجميع على تاريخ ظهورها وتدوينها - ٤٠٠ هـ - (الرضي، ١٤٠٧: ٥٥٩). بيد أن البعض يشككون في مؤلف هذا الكتاب منذ الماضي، وعلى الرغم مما اشتهر من أن الشريف الرضي قام بتجميعه، لكن البعض يدعون أنه من تأليف شقيقه سيد مرتضى (ابن خلكان، د. تا: ٣/٣١٣؛ الذهبي، ١٣٨٢ق: ٣/١٢٤). ومن الأضرار الجدية والخطيرة في منهج نقد النص، الادعاءات المقلدة عديمة الدليل والتي قدّمها ابن خلكان واستمرت طوال التاريخ حتى الآن. سوف نثبت خطأ هذا الادعاء ونبرهن على أن الشريف الرضي هو من جمعه بالمناهج الخمسة التالية:

أ) تصريحات الشريف الرضي: صرح الشريف الرضي

إن إعادة النظر في مصادر ما قبل النهج تشير إلى أن كل الخطب الثلاثة ترتبط بواقعة منفصلة (بلاذري، ١٣٩٧: ٤٣٨/٢ و ٤٤٧). على الرغم من أن هذه التصرفات مرخصة في علم الحديث شرط أن لا تخل بالمعنى (مسعودي، ٢٠٠٠: ١٢١). لكنها تجعل تأريخ النص ونقده صعبًا. وليس لتقطيعات الشريف الرضي أحيانًا علامات ظاهرة، مثل كلمة «منها» في بداية الكلام. (نصح البلاغة، الخطبة ٢٦) وأحيانًا لا توجد في ظاهر الكلام مثل هذه العلامات ولا يمكن اكتشاف حذف قطع من كلام الإمام إلا من خلال مقارنته بحالات أخرى للنقل. على سبيل المثال، جاءت الرسالة التي أرسلها الإمام بعد فتح مصر وحتى شهادة محمد بن أبي بكر بشكل مقطع في الخطب ٢٦، ٣٠، ٥٤، ٨٠، ١٧٢، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٨، والرسالة ٦٢ (حسيني خطيب، ١٤٠٢: ٤٠٩ - ٤١٠). إن تحديد هذه التغييرات أمر هام في النقد.

وقد شكك في الخطبة الأولى المنسوبة إلى الإمام علي (ع) واعتبرها البعض للإمام الرضا (ع). (باكتجي، ٢٠١١: ٣١٠)، وهي من الحالات التي يَحتمل تقطيعها. الجزء التوحيدي لهذه الخطبة أقصر من خطبة الإمام الرضا (ع) تبدأ خطبة الإمام الرضا على الشكل التالي: «أول عبادة الله تعالى معرفته وأصل معرفة الله توحيد ونظام توحيد الله تعالى نفى الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل موصوف أن له خالقا ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران...» (ابن بابويه، ١٣٧٨: ١٥٠/١ - ١٥٣).

قد يكون من الممكن تقسيم الجزء التوحيدي ومن ثم إضافة الأقسام الموجودة إلى الخطبة، وفي هذه الحالة سيكون الجزء الأول من خطبة الإمام الرضا متضمنًا في الخطبة الأولى من نصح البلاغة. ولكن كيف يمكن التحقق من احتمال التقطيع؟ الحقيقة هي أنه من خلال الاعتماد فقط على النص، لا يمكن أن تكون هناك إجابة محددة لهذا السؤال، ويجب أن نلجأ إلى نقد المصادر، ما لم يتم العثور على خطبة أكمل في مصادر أخرى بحيث يمكن التعليق عليها.

الحديد، ٢٠٠٨م، ج ٢٠: ٩٣) وأخرى تنتهي بعد الحكمة ٤٦٢. (م. ن ج ٢٠: ١٨٠) وبين الشارح أنه شاهدَ مخطوطة أخرى فيها مواضع أكثر، أمر بإضافتها الشريف الرضي بعد تلاوتها عليه. (م. ن) بعد الإضافات المذكورة التي تبلغ ٤٨٠ كلمة جاء مايلي: «وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين...» وأكثر مخطوطات نصح البلاغة تداولًا هي الأخيرة. (الرضي، ١٤٠٧: ٥٥٩) في بعض الشروحات، شُرحت بعض الحكم غير المتداولة في نصح البلاغة وتعود إلى مخطوطة أخرى. يعتبر شرح ابن أبي الحديد من الشروحات التي أتت بكافة الكلمات، وقدم في نهاية شرحه بابًا سماه "الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" ويحتوي على ٩٩٨ حديثًا دون شرح وأنه شرحه بخطبة قصيرة وتطرق إلى التعريف بمخطوطته معتبرًا إياها أكمل المخطوطات وأنها مبنية على الزيادات والإضافات مقارنة بالمخطوطات الأخرى (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٣٧٨/٢٠).

٣,٢. تصرفات المؤلف

إن ما نُقِلَ في شرح أحوال الشريف الرضي يدل على منزلته العلمية والأخلاقية العالية. (نجاشي، ١٩٨٦: ٣٩٨) تشير هذه التقارير إلى أن الشريف الرضي لم يلجأ إلى تزوير أي كلام أو نسبه إلى الإمام علي (ع)، ولكن باختياره من بين كلام الإمام (ع) ورسائله والتي قد يساعد تحديدها بشكل دقيق في نقد النص، فقد تصرف في النص وهذا جدير بالاهتمام في إسناد النص.

لجأ الشريف الرضي إلى التقطيع (الشريف الرضي، ١٤٠٧ق: ٣٥٣٣). وتجميع الأجزاء المقطعة. ربما يؤدي هذا التصرف إلى شبهة انقطاع تاريخي وعدم توازن في كلام الإمام (دلشاد طهراني، ١٣٩٥: ١٩). ولا يجب على ناقد النص أن يغفل عنها. على سبيل المثال، بغية التعبير عن غضب الإمام من ضعف أنصاره أثناء غزو الأعداء، يضع الشريف الرضي ٣ أجزاء من خطب مختلفة تتحدث عن هذا الغضب إلى جانب بعضها البعض. على سبيل المثال، إن الخطبة رقم ٦٩ عبارة عن تجميع لثلاث خطب (دلشاد طهراني، ١٣٩٥: ١٩).

تشير هذه المصادر والمستندات إلى أن الشريف الرضي ليس هو الشخص الوحيد الذي أسند محتوى نهج البلاغة إلى الإمام، حيث روى آخرون عنه، لكنهم كانوا غير قادرين على إسناد النص للإمام؛ وبالتالي، فإن نقل مصادر أخرى يحتاج إلى بحث وتتبع لإثبات إسناد النص للإمام.

ج) لا تعتبر الكتب التي يعود تاريخ ظهورها لما بعد "نهج البلاغة" مصدرًا له، ولكن يمكن اعتبارها دليلاً على إسناد النص للإمام. في هذه الدراسة، إذا اختلف نقلها عن الشريف الرضي، فمن المرجح أن يتم الاستشهاد بها لإسناد النص بشكل أكثر موثوقية.

د) في جميع المراحل المذكورة أعلاه، لا ينبغي أن يؤدي الدافع لتنمية المصادر إلى افتراض كلام من نهج البلاغة وغيره واحداً ويستند إليه كمصدر.

إن فحص مستندات ومصادر بعض مواضيع نهج البلاغة، يوحى بأنها نسبت إلى الإمام بالخطأ أو أن مصادر أخرى نقلت النص من أشخاص آخرين مما يزيد من صعوبة تحديد هوية هذه الأقسام. الحكمة ٢٨٩ هي حالة من هذه الحالات. وقد اعتبر الكليني وابن أبي شعبة وابن قتيبة والخطيب البغدادي هذه الحكمة صادرة عن الإمام الحسن (ع). (شوشترى، ١٢/٤٦٧ - ٤٦٩) تشير هذه الإسنادات إلى أن نقد المصادر والمستندات مهم جداً في تحديد هوية النص.

٣.١. دراسة أمثلة عن المصادر والمستندات

لقد صرّح في أمالي سيد مرتضى بإسناد الخطب التوحيدية لنهج البلاغة (علم الهدى، ١٩٩٨م: ١٠٣/١). على سبيل المثال، نقلت مصادر أخرى قسم التوحيد في الخطبة الأولى. نقل الشيخ المفيد جزءاً من هذه الخطبة مع الإسناد: «أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي التشبيه عنه، جلّ عن أن تحلّه الصفات بشهادة العقول أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع، وشهادة العقول أنّه جلّ جلاله ليس بمصنوع، يصنع الله يستدلّ عليه بالعقول تعتقد معرفته، وبالنظر تثبت حجّته، جعل الخلق دليلاً عليه، فكشف به عن ربوبيّته، هو الواحد الفرد في أزليّته، لا شريك له في إلهيّته، ولا ندّ له في ربوبيّته، بمضادّته بين الأشياء

٢.٤. أخطاء الصياغة والرواية

قد تحدث أخطاء سهوية من قبل المؤلف وكاتب المخطوطة. ومن أكثر التغييرات شيوعاً في النصوص القديمة التصحيف أثناء النسخ وهو لا يعني التدخل في أصالة النص عادة لكنه الاهتمام به يفيد في نقد النص. (شوشترى، ١٣٧٦: ١١/١٨١ و ١٤/٥٩٩)

إن خطأ المؤلف في النص أقل احتمالاً وسبب ذلك يعود إلى استعمال المؤلف للمكتبة والمصادر الغنية. ومع ذلك فقد يخطئ في تسجيل العناوين أو المحتوى مثل الرسالة ٦٢ التي ذكر في مكان خاطئ، حيث يعتبر المؤلف أن الخطبة أُلقيت في مصر بينما اعتبرت أربعة مصادر أخرى. (الثقفي في الغارات، الطبري في المسترشد، ابن قتيبة في الخلفاء والكليني في الرسائل) أنها أُلقيت في الكوفة بعد مقتل محمد بن أبي بكر. (شوشترى، ١٣٧٦: ٤/٣٧٣) ويعود سبب هذا الخطأ إلى اهتمام المؤلف بالنص أكثر من اللازم وإهمال المستند (م. ن).

٣. نقد المصادر والمستندات

الغرض من نقد المصادر هو العثور على مراجع الكتاب المقدس. اختيار الشأن الأدبي لنهج البلاغة هو أحد العوامل التي جعلت الشريف الرضي يمتنع عن ذكر المستند، فلم يذكر مصادر إلا لـ ١٧ خطبة، وهذا قليل جداً مقارنة بما لم يذكر من المصادر. وبهذه الطريقة، فإن العثور على المصادر المحتملة وتحديد أصالتها من خلال هذه الطريقة أمر مهم في نقد النص. في نقد المصادر، ينبغي النظر في الأضرار المنهجية التالية:

أ) الكتب التي نقلت نصوص الخطب والرسائل والحكم قبل الشريف الرضي هي مصادر ومراجعها ومستنداتها وتمتد سلسلة نقل المؤلفين لها إلى الإمام (ع)، لكنها ليست بالضرورة مصادر الشريف الرضي أو نهج البلاغة، وبعض النظر عن نقل محتوى نهج البلاغة في الكتب السابقة للشريف الرضي، فلا يمكن اعتبارها من مصادر نهج البلاغة.

ب) إن معظم المصادر التي تم توفيرها حتى الآن لا تكفي لإسناد نص نهج البلاغة للإمام، لأن هذه المصادر ترفض إسناده إلى الشريف الرضي فحسب. بعبارة أخرى،

سبب إسناد الخطبة إلى الإمام الرضا عائداً إلى الأسلوب وسوف ندرس ذلك في المكان المناسب.

٤. نقد أسلوب النص

جزء آخر من النقد التاريخي للكتاب المقدس هو النقد الصوري^١ الذي يتناول جميع العلامات اللغوية (فلوس، ٢٠٠٦: ٥٩٣). في الأدب الفارسي، البديل لهذا المصطلح هو نقد الأسلوب. الأسلوب يعني الطرز والقاعدة (أنوري، ٢٠٠٢: ٤/٤٠١٦). استخدم أدباء القرن الماضي الأسلوب بمعنى طرز خاص من الشعر أو النثر، وجعلوه تقريباً معادلاً لـ «Style» عند الأوروبيين. ويطلقون اسم الأسلوب على النوع الأدبي والذي تتم دراسته من حيث المواصفات ونقاط التمايز التي ترتبط بالفنون المماثلة. هذه النقاط المثيرة للاهتمام هي: طريقة خاصة لإدراك الأفكار والتعبير عنها عن طريق اختيار المفردات وتركيبها وتفسيرها. بالاعتماد على تفكير المتحدث أو الكاتب، يُلقى الأسلوب على العمل الأدبي صورته ومعناه الخاص.

بعبارة أخرى فإن أسلوب السجية العامة عمل يتناول الفكر وجانبه المميز وأسلوب التعبير، بينما لا يتناول النوع سوى طرز الإنشاء. والنوع والأسلوب متلازمان. فعلى سبيل المثال في الأدب الفارسي يشترك ديوان كلستان سعدي في نوع تأليف مقاله مع مقامات حميدي، لكنه يختلف عنه في الأسلوب (بهار، ١٣٤٩: ١/«د. ه»). إذن فإن أسلوب وحدة الإجراء هو المشهود في النص. الميزات المشتركة والمتكررة في النص هي التي تم تكرارها بواسطة عوامل أو ميزات. (شميسا، ١٩٩٦: ١٦)، لذلك، في الأسلوب ونقد أسلوب مركز التقييم، فهو انحراف عن المعيار (شفيعي كدكني، ١٩٨٧: ٣٨ - ٣٨).

الانحراف عن المعيار هو الذي يجعل النص فريداً ويعتبر دائماً أحد طرق تحديد هويته بخصوص نصح البلاغة. ويعتبر ابن أبي الحديد أن نصح البلاغة منسوب إلى الإمام علي (ع) بشكل قطعي، وهو يعترف بأن جزءاً من نصح البلاغة قد تم نقله بالتواتر وهذا الجزء هو نفسه الجزء الذي نقل بغير التواتر، ويأتي من مصدر

المتضادة علم أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له» (مفيد، ١٤١٣ ق، [الف]: ٢٢٣/٢؛ هو، ١٤١٣ ق، [ب]: ٢٥٣).

ونقل مؤلف «المعيار والموازنة» أجزاء من الخطب التوحيدية للإمام ومضمونها يشبه كثيراً الخطبة الأولى، رغم أن نصها يشبه الخطب الأخرى من نصح البلاغة. (الاسكافي، ١٤٠٢ ق: ٢٥٤ و٢٥٩)

وفضلاً عن الكتابين المذكورين اللذين يتقدمان زمنياً على نصح البلاغة، فقد نقلت كتب أخرى أُلِّقت بعد نصح البلاغة أجزاء مشابهة للخطبة الأولى (المجلسي، ١٤٠٣: ٣٠٠/٧٤^(١)).

على الرغم من أن سائر المصادر عدا أعمال الشيخ المفيد والاسكافي متأخرة تاريخياً بالنسبة لنصح البلاغة، ولكن من المستبعد أن يكون الشيخ المفيد، الاسكافي، ابن شعبه، الشريف الرضي، قاضي قضاعي، الواسطي، الزمخشري، الرازي وابن طلحة قد تأمروا على تزوير هذه الخطبة (حسيني خطيب، ١٤٠٢: ١/٣١٣. ٣١٥). لأنهم لم يعاصروا بعضهم البعض ولم يكونوا على مذهب ومشرب واحد.

ونقل بعض الباحثين مصادر أخرى للخطبة الأولى. ذكر دشتي ٣١ مستنداً للخطبة (دشتي، ١٣٦٨: ٥١ - ٥٢). والمستندات التي جمعها الباحثون لا تخلو من الأخطاء. على سبيل المثال، إن ما نقله دشتي عن باب جوامع التوحيد. (الكليبي، ١٣٨٨: ١/١٤٠)، يتعلق برسالة الإمام موسى بن جعفر (ع) إلى فتح بن عبد الله مولى بني هاشم لم يصرح في هذا الكتاب بأن هذه الرسالة تضمنين لخطبة الإمام علي (ع) حتى تعتبر من مستندات الخطبة.

وكما ذكرنا في قسم التصرفات في المصادر الروائية، فقد نقل ما يشبه قسم التوحيد من الخطبة الأولى عن الإمام الرضا (ع) هل من الممكن أن يكون الشريف الرضي قد نقل خطبة الإمام الرضا بالخطأ؟ إن الإجابة على هذا السؤال من وجهة نظر نقد الصياغة والرواية سلبية، لأن المصادر المذكورة تنسب الخطبة إلى الإمام علي (ع) ورغم أن المرحوم شوشتری يشير إلى نقلها عن الإمام الرضا (ع) ولكنه لا يعتبرها بمثابة نفي صدور الخطبة عن الإمام علي (ع). (شوشتری، ١٩٩٧: ١/١٦٠) ويمكن أن يعود

قضية التوحيد. اتجه نهج البلاغة في مباحث التوحيد فريد من نوعه تمامًا. (الطباطبائي، ٢٠٠٩: ٣٦) ويوضح بشكل جيد النمط الخاص للنص من حيث هذا المؤشر.

أ) مقارنة الاتجاه التوحيدي لنهج البلاغة والصحابة

جاء في الروايات أن الصحابة كانوا أناسًا قليلي العلم (ابن خلدون، ١٤٢٤ق: ٤٢١). من غير المتوقع أن يكون هؤلاء مدركين لغوامض التوحيد، وإدراك أي منهم لا يتفق ونهج البلاغة (الاسكافي، ١٤٠٢ق: ٢٩٥). يشير ابن أبي الحديد إلى أن التوحيد جزء من كلام الإمام علي (ع) ولم يسر على لسان أي من الصحابة فيقول أنه لو كان الأمر كذلك لوصلنا منهم نقل. لم يكن الصحابة قادرين على تصور هذا التوحيد في أذهانهم (ابن أبي الحديد، ٣٧٨، ج ٦: ٣٤٦). إن ما ورثناه عن الصحابة لا يتعدى كونه مواضيع سطحية وعامية حول التجسيم والتشبيه وبعض التنزيه (طباطبائي، ٢٠٠٩: ٣٣). ولم ينقل أي إدراك للتوحيد كهذا الإدراك بعد الصحابة. روي أن أحدهم سأل مالكا كيف استوى الله على العرش، فغضب مالك حتى تغير لونه وعرق وجهه وقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة (العسقلاني، د. تا: ١٣/ ٣٤٣٣٤٢).

وعليه لم يكن اتجه نهج البلاغة شائعًا في وقته، ولعل بعض النقاد استندوا إلى الأفق المتوسط أو القياسي، فاستنتجوا أن كلمات نهج البلاغة التوحيدية لا تتعلق بزمان الصحابة، ولم يكن هذا الفهم متاحًا إلا بعد حركة الترجمة (أمين، ١٩٦٠: ١٤٩). جاءت مثل هذه الادعاءات من قبل أفراد مثل صبري إبراهيم وتنص بالتحديد على أن البحوث الفلسفية المذكورة في الخطبة الأولى، باستثناء الفقرة الأولى منها، لا تنسب إلى الإمام علي (ع)، بل تنسب إلى الإمام الرضا (ع) كما أنه لا يقبل إسناد أجزاء من الخطبتين ١٨٥ و ١٨٦ للإمام علي (ع) (صبري، ١٤٠٦ق: ٧، ٧٧.٦٥، ٦٨، ٨٦ و ١٠١). معتبرًا أن هذا الاتجاه يتفق وعهد الشريف الرضي (م. ن: ٢٣). بالطبع، لا يتفق البعض مع هذه الفكرة، ويعتقدون أن تاريخ البحوث الفلسفية لا ينبغي أن يقتصر على عهد العباسيين، لأن العراق في مرحلة ما قبل الإسلام

واحد ويتمتع بوحدة في الأسلوب، مستنتجًا أن النص بأكمله ينتمي إلى شخص واحد. (ابن أبي الحديد، ١٣٨٧ق: ١٠/ ١٢٨ - ١٢٩) واعتبر الباحثون المعاصرون أن علم الأسلوب فعال في إسناد نصوص الحديث إلى المعصومين (ع)

هناك نقطتان مهمتان في نقد الأسلوب: أولاً، الخصائص التي تستعمل لتحديد الأسلوب ليست واضحة. بما أن الأسلوب انحراف عن المعيار، ومن أجل فهم أسلوب "نهج البلاغة"، يجب تحديد عناصر المعيار والاستناد إليها من أجل التعرف على الأسلوب. فيما يتعلق بنهج البلاغة، تمثل هذه المؤشرات ثلاثة عناصر رئيسية: أ) الاتجاه ونظام الفكر؛ ب) المفردات المختارة؛ ج) العناصر الأدبية؛^(٢) ثانيًا، في نقد النص، يجب أن نقارن أسلوب النص مع الأساليب الأخرى من أجل جعل النقد التاريخي للنص مثمرًا. سوف ندرس هذه المعايير في السطور التالية لشرح طريقة إسناد نهج البلاغة للإمام علي (ع).

٤. ١. اتجاه النص

المقصود بالاتجاه،^(٣) طريقة النظر إلى موضوع ما. لكل إنسان موقف معين ونظرة مختلفة للعالم حوله يظهر في كلامه. تتطلب هذه النظرة والأسلوب الخاص لغة خاصة للنقل. التفكير والتحدث هما وجهان لعملة واحدة ولا يمكن اعتبارهما منفصلين (صائب تيريزي، ١٩٥٢م: ٢١). نقد الاتجاه في النص هو نقد النظرة والنظام الفكري للمؤلف. في هذا النقد، عليك أن تنظر في محتوى النص ومفاهيمه من أجل العثور على الخصائص التي يمكن تحديد المتحدث بها. وفقًا لهذه العلاقة، إذا تم تقييم محتوى "نهج البلاغة" من حيث آفاق الكلام الفكرية، فيمكن العثور على المتحدث به لأن النظرة إلى هذا النص وطابعه اتجاه مختلف مواضيع العالم، الميتافيزيقيا، والمجتمع والسياسة والاقتصاد، وغيرها نظرة متكاملة، وفي الوقت نفسه، خاصة، وتمثل حقا أسلوب تفكير المتحدث الفريد.

٤. ١. ١. الاتجاه التوحيدي لنهج البلاغة

من القضايا التي تبين موقف واتجاه نهج البلاغة المميز هي

كان أيضا على دراية بهذه الموضوعات (حاجيخاني؛ جليليان، ٢٠١٧: ٥٣-٤٦). ولكن هل تعتبر نظرة نصح البلاغة للتوحيد غريبة عن النصوص المعاصرة لها تماما؟ سنجيب على هذا السؤال في الجزء التالي.

ب) مقارنة اتجاه نصح البلاغة والقرآن

نص القرآن غني وزاخر بالمواضيع التوحيدية بأعلى قدر ممكن، وطالما كان مصدرا للمتكلمين المسلمين في كل عصر ومصر. تصف البحوث التوحيدية القرآنية صفات الله الذاتية، حيث تنسب صفاتاً مثل الخلود والأبدية والعلم إلى الله في العديد من آيات القرآن: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (الحديد: ٣)؛ «وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ». (الأنعام: ١٨) وقد بينت هذه الصفات ذاتها في نصح البلاغة:

«الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ» (الخطبة ٩١).

«لَيْسَ لِأَوَّلِيهِ ائْتِدَاءٌ وَلَا لِآخِرِيهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ» (الخطبة ١٦٣).

«الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ» (الخطبة ١١٥).

«فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِمَاتِ ... وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَالْهَيْطَالُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْفِطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الدَّرَّةِ وَمَجْرَهَا، وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَمَا تَحْمِلُ [مِنْ] الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا» (الخطبة ١٨٢).

«وَأَنْعَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِأَرْزَمِيَّتِهَا وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُودِ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ» (الخطبة ١٣٣).

إن تأثر نصح البلاغة بالقرآن وارتباطه به واضح، فبعض الخطب التوحيدية تفسر آيات القرآن (شريعتمداري، ١٣٨٣: ١١٧ - ١٢٧). بعضها تضمين لها (دلشادطهراني، ٢٠١٣: ٢٠٢ و ٢٠٨) وبعضها اقتباس. (عباسزاده، ٢٠١٠: ٤١ - ٥٠) أو تلميح من القرآن (معارف، ٢٠١٦: ٢٠٦-٢١٠). بعبارة أخرى، يمكن تقسيم علاقة الإمام بالقرآن إلى مباشرة وغير مباشرة.

في العلاقة المباشرة، نلاحظ توصيته بالقرآن والوصف والبيان والاستشهاد والاستناد إلى آيات (الخطبة ١١٠، ١٦٠، الرسالة ٤٧ وغيرها). وفي العلاقة غير المباشرة نلاحظ معاني القرآن في قوالب وألفاظ أخرى (الخطبة ١٥٠، ١٦٠، الحكمة ٤٠...). ولهذا لا يمكننا أن ننكر مطابقة نصح البلاغة التام بالقرآن. على سبيل المثال، في الخطبة ١٨٢، عبارة «وما تسقط من ورقة» مقتبسة من الآية «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْعَلَمِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ...» (الأنعام: ٥٩). اعتبر الفريقان في الروايات أن هذا الارتباط متلازم لا ينفصل (الطبراني، ج ٥: ١٣٥؛ الطوسي: ٤٦٠، ٤٧٩؛ متقي هندي، ج ١١: ٦٠٣). لذلك فإن نصح البلاغة هو الروح القرآنية لعل (ع) في قالب الكلمات. ويعتبر ابن أبي الحديد من الشارحين الذين اهتموا بهذا الأمر وذكروا العديد من الأمثلة فقال: «هذه من الألفاظ القرآنية» (ابن أبي الحديد، ١٣٨٧ق، ج ٦: ٣٩٤، ٤٢٨، ٤٤٢؛ ج ٧: ٩٨، ١١٠، ١٦٩، ٢١١، ٢٢٥؛ ج ٨: ٢٧٣، ١٠٨). ويقول في الكلام ٩٦: «قوله ونصحت لكم هو الأفصح وعليه ورد لفظ القرآن وقول العامة نصحتك ليس بالأفصح» (م. ن، ج ٧: ٧٤). بينما اعتبر الشارح نفسه في كثير من الحالات أن استعمال اللفظ في كلام العرب وأهل اللغة هو أحد مصادر استناده في شرح الكلام على سبيل المثال (م. ن: ١٧٠/١).

كان الإمام علي (ع) يستأنس بالقرآن أكثر من أي شخص ولم يتمكن أحد من منافسته في ذلك سواء في خضم الحرب أو أثناء العمل في السوق، فقد كان شرح التوحيد محط اهتمامه. ولذلك يمكننا أن نستنتج من مقارنة هذين الاتجاهين أن إسناد النص إلى الإمام علي (ع) مقبول.

ج) مقارنة اتجاه نصح البلاغة والسنة النبوية (ص)

بعد القرآن تعتبر السنة النبوية أكثر النصوص شبيهاً بنصح البلاغة. إن مرافقة الإمام للنبي (الرضي، ١٤١٤ق، الخطبة ١٩٢: ٣٠١-٣٠٠). سبب للتشابه في كلامهما. نقل الحديث التالي في حدوث العالم عن النبي (ص): «أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم، فقال: أفترؤنهما لم يزالا ولا يزالون؟ فقالوا: نعم، قال

العاطفة والشعور وتختلف عن بعضها في الوضوح وبيان المعنى، لكن الذي مهم تاريخيًا في اختيار هذه المفردات هو استعمال كل منها في زمن محدد. إذا استخدمت عبارة "انتقلت روحه إلى الملكوت الأعلى" فلا يمكن أن تكون مرتبطة بعدة قرون لأنها نتاج العقود الأخيرة. إن اختيار نوع المفردات في نصح البلاغة ينشئ فروغًا في نقد النص سنتطرق إليها في السطور التالية:

١.٢.٤. المفردات المتأخرة عن زمن النص

من المحتمل أن تكون بعض المفردات المستخدمة في "نصح البلاغة" غير مألوفة في اللغة العربية في عصر الأئمة، بل وربما بعد ذلك بوقت طويل. على سبيل المثال، استخدمت كلمة "إقليم" في الخطبة ٢٢٠ في حين أن الكلمة هي في الأصل يونانية، ويبدو أنه بعد حركة الترجمة، دخلت إلى قاموس المفردات العربية (باكتنجي، ٢٠٠٤: ١٧٤٢). المثال الآخر هو كلمة "قهرمان"، وهي معرب "كهرومان" الفارسية، ويدعي البعض أن الكلمة دخلت في القرنين الثالث والرابع إلى القاموس العربي، وعلى هذا الأساس شككوا في نسب الرسالة ٣١ إلى الإمام (المسعودي، ٢٠١٠م: ١٩٢). على الرغم من أن مثل هذا الادعاء لم يتم قبوله بالنسبة للكلمة الأخيرة، فهناك مؤشرات على استخدام هذا المصطلح في القرن الأول، ولكن يجب مراعاة نقل المعنى والاحتمالات المختلفة للمعنى، ولا يمكن النقد التاريخي للنص لمجرد استعمال كلمة متأخرة عن زمانها.

كذلك، فقد لجأ البعض إلى القرآن في موضوع مناقشة المفردات واستخدموا القرآن كميّار لتداول الكلمات بالعربية، وعلى هذا الأساس، فقد قالوا إن القرآن استخدم بعض الكلمات مثل متاع ٢٩ مرة، لذلك فإن استخدام الإمام لكلمات مثل سلعة في ست خطب، يبدو أنه غريب بعض الشيء. لقد استعمل كلمات مثل الحوائج (الخطبة ٥١، ١٠١ و٣٧٢)، الجبرية (الخطبة ١٦٧)، تزعزت سوارى اليقين (خطب ٢)، الطخية (الخطبة ٣)، سحيس الليالي (الخطبة ٣٣)، اللقم (الخطبة ٥٥)، الزبرة (الخطبة ٨٠) وغيرها، وهي شواهد على عدم صحة الإسناد إلى أمير المؤمنين (Waris, 1979: 234-250). لكن لا يجب الاستدلال على أصالة النص من مقارنة كلمات نصح البلاغة

(ص): أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا، فقال: فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جاريا بعده. فقالوا: كذلك هو، فقال (ص): قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل أو نهار ولم تشاهدوهما، فلا تنكروا لله قدرته» (الطبرسي، ١٤٠٣: ٢٥/١).

ويقول كذلك: «أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه؟ فإن قلتم: غير متناه، فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوله، وإن قلتم: إنّه متناه، فقد كان ولا شيء منهما» (م. ن).

ويقوم ابن أبي الحديد بإثبات أن كلام الامام (ع) ليس سوى كلام النبي (ص)، فيتمسك بأحاديث النبي (ص) في شرحه لنصح البلاغة في بعض الحالات، ويعتبر كلامهما واحدًا (م. ن: ١٥٢/٣).

التوحيد في نصح البلاغة قرآني ومتجذر في كلام النبي (ص) وبقي فهمه غير ممكن حتى القرون الأخيرة، لذلك فأبي فيلسوف في صدر الإسلام أو بعده كان قادرًا على بيان هذه المواضيع وإسنادها إلى الإمام علي (ع)؟ (الطباطبائي، ٢٠٠٩: ٣٧). ولا يشبه التوحيد في نصح البلاغة الفلسفة اليونانية، حتى أنه لا يلاحظ في أعمال الفارابي، ابن سينا و ابن رشد ولم يتم بيانه إلا بعد مرور ١٠ قرون على يد ملا صدرا (مطهري، ٢٠١٠: ٨٢ - ٨٥). واتجاه الأئمة غير مستثنى من هذا التاريخ. يرى النقاد الشيعة التقليديون أن علوم الأئمة واحدة (ابن بابويه، ١٣٩٥: ٢٢٣/١). ولا يؤثر مرور الوقت عليها. إنها ذات العلوم التي كانت لدى الإمام الأول (ع) إن الجانب الذي لا ينبغى أن نهمله في هذا الاستدلال هو أن النقد التقليدي جزء من نقد النص وليس المقصود تعميم النتيجة على نقد النص.

٤. ٢. اختيار مفردات النص

من أهم ميزات أسلوب النص هي نوع المفردات. تؤدي هذه الميزة إلى تمييز لغة النص عن النصوص الأخرى، وهي نتيجة اختيار مجموعة محددة من الكلمات والعبارات للتعبير عن نفس المعنى. على سبيل المثال، للتعبير عن مصطلح "مات" في اللغة الفارسية، يتم استخدام العديد من المصطلحات والتعابير مثل: "توفي"، "انطفأت شمعة وجوده"، "انتقل إلى رحمة الله" و غيرها، ولكل من هذه العبارات درجة من

الحدوث والوجود والقضاء والقدر والأزلية: «وَمُحَدَّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزِيَّتِهِ». (الخطبة ١٥٢)؛ «الدَّالُّ عَلَى قَدَمِهِ بِمُحَدَّثِ خَلْقِهِ وَ بِمُحَدَّثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ... مُسْتَشْهَدٌ بِمُحَدَّثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزِيَّتِهِ». (الخطبة ١٨٥)؛ «وَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا». (الخطبة ٩٠)؛ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ وَ بِأَوْلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ» (الخطبة ١٠١).

كما أشير في قسم الاتجاه، اعتبر البعض أن الإمام علي (ع) مؤسسة التوحيد الفلسفي. يرى هؤلاء أن بناء المصطلحات ليس من وجوه نقد النص، لذلك وكما اعتمد الإمام علي مفردات مثل الإصحاح للتعبير عن المسؤوليات الإدارية ومفهوم الشفافية للمدراء والمسؤولين، فقد وضع مصطلحات فلسفية. (رضي، ١٤٠٧ق، الرسالة ٥٣: ٤٤٢)؛ لكن البعض، على النقيض من ذلك، يرون أن ظهور المصطلحات الفلسفية اللفظية كان في نهاية القرن الأول، حيث بدأت الصراعات الدينية والمذهبية، ولم يُقبل استخدامها في الروايات إلا في القرن الثاني فصاعدًا (شفيعي، ٢٠١٧: ٢٧٠). ينبغي أن يقال أن هناك حالات من الانتهاكات التي تتحدى وجهة النظر الثانية في حالة التعميم. لا يتم استخدام المصطلحات المذكورة في البحوث الفلسفية لنهج البلاغة. على سبيل المثال استعملت مفردة «قدر»، بمعنى فلسفي (رضي، ١٤٠٧ق: الخطبة ٦٥) ولغوي (م. ن، الخطبة ٨٢). وتم العثور أيضًا على أمثلة أخرى لتكون نفس المفردات القياسية المستخدمة في الخطاب الفلسفي. فعلى سبيل المثال استعمال الإمام للتعبير عن عدم جسمانية الله عبارة: «الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ» (الخطبة ٩٠). بينما تستخدم عبارات أخرى مثل «الرؤية بلا كيف» في بحوث الفلسفة (م. ن: ١٢٢ و ٢٦٥).

كذلك، لا يشير نوع المفردات المستخدمة في نَحج البلاغة، على غرار المفردات الفلسفية - اللفظية، إلى خطبة معينة، ولكن هذه الكلمات مبعثرة في السلسلة التوحيدية ولا يمكن الشك فيها على أساس مبدأ التوحيد في السلسلة بأكملها، لأن نسبة بعض الخطب حتمية بالاعتماد على طريقة نقد مصادر ووثائق الإسناد إلى الإمام (الخطبة ٦٥: ٩٦: حسيني خطيب، ١٤٠٢ق: ٤/٢).

وجاء في تعريف اللغة القياسية: «لغة تتجاوز اللهجات المحلية والاجتماعية لبلد ما وهي وسيلة للتواصل الاجتماعي والعلمي والأدبي لأولئك الذين قد يتكلمون لهجاتهم المحلية أو الاجتماعية في ظروف أخرى» (صادقي، ١٩٨٣: ١٨). لذلك، إذا اعتمد نقد النص على التحليل الكمي الدلالي^١، فيجب مقارنة كمية كبيرة من المفردات مع عدة نصوص معاصرة لا تتمتع بخواص اللغة القياسية. ولا يتاح المجال أمام هذه المقارنة إلا عندما تكون كثرة المفردات في النصوص المذكورة قابلة للحصول (دهقاني، ٢، ٨، ٢٠١٨). مع أن تحليل النصوص الموازية للنصوص القديمة والتي يمكن من خلالها الوصول إلى اليقين في هذا النقد أمر صعب، لكنه ضروري للنقد حسب الحالة.

٤. ٢. ٢. ٤. بناء المفردات الصرفي

بغض النظر عن بحث اختيار المفردات، هناك بحث آخر في نقد النص المرتبط بالمفردات، وهو البناء الصرفي لها. حرف ياء النسبة نادرًا ما يستخدم في القرآن. وتبنى مفردات محدودة مثل العربية واليهودية والنصرانية والعجمية ببناء النسبة؛ ومع ذلك، هناك فقرة نوعية في استخدام هذه الياء في نَحج البلاغة، و بالإضافة إلى إضافة ياء النسبة للأسماء، فقد أضيفت إلى أدوات الاستفهام ومثالها مفردة كيفية. (باكتجي، ٢٠١١: ٢٩٧) وتلاحظ مفردات الأزلية والأولية والآخرة والجبرية والعصبية بكثرة في النص.

٤. ٢. ٤. ٣. تحول معنى المفردات

البحث الآخر الذي لا ينبغي إهماله في المفردات هو تطور معنى المفردات فقد تغيرت بعض المعاني في "نَحج البلاغة". كلمة "فيء" في القرآن تعني الأموال التي حصل عليها المسلمون بدون الحرب. (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢ق: ٦٥٠)؛ لكنها استخدمت في نَحج البلاغة للتعبير عن أي نوع من الأموال التي يحصل عليها المسلمون (الرضي، ١٤١٤ق: ٧٩).

٤. ٢. ٤. ٤. دراسة اختيار المفردات في الخطب التوحيدية

استعملت في بعض الخطب التوحيدية كلمات مثل

٤. ٣. عناصر النص الأدبية

من عوامل الاختلاف في الأساليب هو الاختلاف في درجة موهبة الخطباء. إن المهارة الأدبية هي العامل الأكثر أهمية الذي يسبب الاختلافات في الأسلوب، فعلى الرغم من أن شخصين ينظران إلى «الوجود» بنظرة واحدة، ويختاران نفس المصطلحات، لكن قد يكون لديهما أسلوبان مختلفان لمعالجة الكلمات لخدمة هذه النظرة العالمية.

يشتهر نص "نهج البلاغة" بعناصره الأدبية. بعض هذه العناصر هي السجع، والاستعارة، والكناية، والتشبيه وغيرها. إن الذين وصفوا أسلوب "نهج البلاغة" من حيث استخدام الفنون الأدبية قدموا أيضًا عناصر أخرى للتعرف على الأسلوب. عناصر مستوحاة من أساليب القرآن. تتضمن هذه العناصر الترتيب، الموسيقى، الصور البيانية، التركيبية النحوية للكلمات (كأباني، ٢٠١٥: ١٠٦). يشبه "نهج البلاغة" في كثير من هذه الصفات الأدبية للقرآن، وهو أمر مفيد لنقده التاريخي.

النقطة السلبية التي يجب أخذها بعين الاعتبار هي أن الشريف الرضي قام بنقد كلمات الإمام باختيار هذه الكلمات وانتقائها. كان الهدف من هذا الجمع هو الاختيار من بين كلمات أمير المؤمنين (ع) ذات الصناعات الأدبية. يُعتبر هذا الاختيار تمييزًا بين ما قيل من قبل الإمام في نهج البلاغة و ما قيل خارج هذا الإطار. إن تمييز الحدود الأدبية لهذا الاختلاف يفيد نقد النص. كما أنّ الصناعات الأدبية داخل «نهج البلاغة» ليست متطابقة تمامًا في جميع أجزاء النص. على سبيل المثال، نص نهج البلاغة مسجع والسجع في اللغة العربية علامة للنوع الأدبي، لكن في "النهج نفسه"، هناك بعض الخطب والرسائل التي هي عبارة عن نصوص بسيطة وعادية لغرض السجع. (طباطبائي، ٢٠١٧: ٣٤) في خطبة الأشباح استعمل السجع ولكن لتجميل الكلام وليس لأجل السجع نفسه (نظري، ٢٠١٤: ٢٧). لذلك، فإن "نهج البلاغة" يشبه القرآن. في القرآن الكريم، عادة ما تكون السور المكية مسجعة، لكن في السور المدنية، لا يوجد سجع. وكما هو الحال في عدم وجود شك في الطابع الإلهي لنص القرآن ونزول نصه كله، ففي نهج البلاغة أيضًا، لا يمكن للمرء أن يشكك

فيه. قد تكون هناك حاجة عرضية للسجع، ولا تتطلب ظروف أخرى مثل هذا الشرط.

٥. النتيجة

أ) إن نقد نص "نهج البلاغة" وبما أن النص مكتوب والقائل والمؤلف مختلفان، فإن ذلك يتطلب بالتأكيد اعتبارات خاصة، خاصة وأن هذا النص ليس جزءًا من النصوص القديمة ولم يصل إلينا مباشرة. ففي طريقة النقد، ينبغي النظر في جميع الخصائص الثلاث المذكورة.

ب) في هذا البحث، تم تقسيم أسلوب النقد إلى ثلاث مراحل هي نقد الصياغة والرواية ونقد المصادر والمستندات ونقد الأسلوب، وتأخذ هذه المراحل في الاعتبار السمات المذكورة للنهج في الفقرة السابقة. في نقد المصادر، يتم تقييم صحة الإسناد إلى الإمام علي (ع) بشكل كامل على أساس العوامل الخارجية. إلى الحد الممكن، سيتم تقييم مصادر النص المحدد ودقة إسناد هذه المصادر إلى الإمام علي (ع) ومع ذلك، يتم التطرق للنص نفسه في نقد الأسلوب. هناك مؤشرات في النص نفسه والتي تساعد في دقة الإسناد.

ج) نقد الصياغة يتوسط النوعين المذكورين في الفقرة السابقة ببيان أن مسار تطور النص يجب أن يخضع للدراسة حتى التحقق النهائي منه. يرجع هذا النقد إلى حقيقة أنه في كتاب نهج البلاغة، كغيره من كتب الحديث، فإن المتكلم والمؤلف شخصان مختلفان وهو عبارة عن تحديد تاريخ ظهور النص وصياغته ومصاديقته وتأثيره على النص ورواياته المختلفة.

د) مقارنة بالنقد التقليدي والمشهور للنص الذي يستخدم مصطلحات النقد الداخلي والخارجي، يمكن اعتبار نقد الرواية والصياغة ونقد المصادر والمستندات معادلًا للنقد الخارجي للنص والنقد الأسلوبي معادلًا للنقد الداخلي بقليل من التسامح. في النقد الأسلوبي، من الضروري مقارنة كل من أسلوب النص وأسلوب النصوص الأخرى من أجل تأريخ النص. على سبيل المثال، في اختيار الكلمات، من غير الممكن قياس تواتر المفردات في النصوص المعاصرة الأخرى لنهج البلاغة، والنص الوحيد المتاح هو القرآن، والذي يستخدم أيضًا

اللغة القياسية. من الصعب التغلب على عدم وجود هذا الاحتمال في ضوء النقد الأسلوبي.

هـ) في النهاية، إن الذي سيؤدي إلى تحديد هوية النص، هو نتاج المراحل الثلاث من النقد، ولا يمكن الحصول على هوية النص ببساطة بالاعتماد على قسم واحد. كما في حالة خطب التوحيد، وعلى الرغم من أن أجزاء من نقد الأسلوب تظهر تاريخ ظهور النص بعد عصر الإمام علي (ع)، إلا أن وحدة الخطب الداخلية والتأكيد على مصادرها المتقدمة على المسند سيضمنان موثوقيتها الكلية بالنسبة للإمام.

و) في هذه الدراسة، وبمناسبة أسلوب النقد، تم ذكر عينات من التهديدات التي تواجه نقد النص، مثل عدم النظر في احتمالات المعنى وملاحظة النقد التقليدي كنقد تاريخي، والنظر في اتجاه واحد في نقد النص والادعاءات غير الواضحة والمتكررة التي قد تؤدي إلى نقد مضلل للنص والاستنتاجات غير الدقيقة حوله. ومن المتوقع إيلاء الاهتمام للتعامل مع هذه الإصابات من خلال طريقة نقد النص ومعرفة قواعده وأنظمتها.

الهوامش

١. على أساس رأي المجلسي، فقد نقلها من كتاب عيون الحكم والمواعظ لعلي بن ليث الواسطي - اعتبره البعض هو ابن شاعر الواسطي واحداً (حسيني خطيب، ١٤٠٢ق: ٣١٢/١). في باب ٣٠، لكن البعض يعتقد أنه لا يوجد لها في الباب ٣٠ ولم يذكرها المجلسي إلا في بحار الأنوار (أنصاري قمى، ١٣٧٩: ١٥١٢).

٢- قام البعض بتطوير هذا النقد وقسموه إلى ثلاثة أجزاء: المحتوى والأدب والأسلوب (دلشاد تهراني، ١٦، ٨، ٢٠١٤). ولكن وفقاً لتعريف الأسلوب، فلا حاجة لكل هذا التوسع، حيث اعتبر ابن أبي الحديد الأسلوب إجمالي هذه المباحث.

٣- الكلمة الإنجليزية المعادلة هي attitude ويقال كذلك approach بالخطأ. (راد، ٢٠١٤م، ص ١٢) وتعني الاتجاه.

المصادر

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (١٣٧٨ق). شرح نصح البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار

إحياء الكتب العربية.

ابن بابويه، محمد بن علي بن حسين (١٣٧٨ق). عيون أخبار الرضا (ع). تحقيق: مهدي لاجوردي، طهران، دار جهان. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤ق). لسان العرب. تحقيق: جمال الدين ميردامادي، بيروت: دار الفكر. دار صادر إسلامي، حسن (١٣٨٧). «الأخلاق و الجنسية في حديث خصال النساء»، فصلية علوم الحديث، ش ٤٩ - ٥٠: ٤٧ - ٨٧.

بهايي العاملي، محمد بن حسين (د. د). مشرق الشمسيين. قم: مكتبة بصيرتي.

باكتجي، احمد (١٣٩٠). نقد النص. طهران: جامعة الإمام الصادق (ع).

حاجي خاني، علي (١٤٣٧ق). «شبهة استعمال السجع و تنميق الكلام في نصح البلاغة و الزد عليها»، دراسات في العلوم الانسانية، ش ٢٢، ١١٣ - ١٢٨

حر العاملي، محمد بن حسن (١٤٠٩ق). وسائل الشيعة. قم: مؤسسة آل البيت.

حسيني خطيب، سيد عبد الزهراء (١٤٠٢ق). مصادر نصح البلاغة و آسانيه. بيروت: دار الزهراء.

دلشاد تهراني، مصطفى (١٣٩٢). عين الشمس. طهران: دريا، ط ٧.

الرضي، الشريف (١٤٠٧ق). نصح البلاغة. تحقيق: صبحي صالح، قم: مؤسسه دار الهجرة.

شفيعي كذكني، محمدرضا (١٣٦٦). شاعر المرآئي. طهران: آگاه.

شميسا، سيروس (١٣٧٥). كليات علم الأسلوب. طهران: فردوس، ط ٤.

شوشترى، محمد تقي (١٣٧٦). بهج الصباغة في شرح نصح البلاغة. طهران: اميركبير

الطباطبائي، محمد حسين (١٣٨٨). علي و الفلسفة الإلهية. قم: انتشارات اسلامي.

كشي، محمد بن عمرو (١٣٦٣). رجال الكشي، اختيار معرفة الرجال. تحقيق: مهدي رجائي، قم: مؤسسة آل البيت.

مجلسي، محمداقبر (١٤٠٣ق). بحار الأنوار الجامعة لعلوم الأئمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مطهري، مرتضي (١٣٨٩) سير في نصح البلاغة. طهران: صدرا.

روش‌شناسی نقد متن نهج البلاغه؛ با مطالعه موردی خطب توحیدی

انسیه عسگری^۱، محسن رفعت^۲

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۷/۱۰/۲۰

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۰۸/۲۳

۱. استادیار گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه حضرت معصومه (س)، قم (نویسنده مسئول)؛ asgari.nc@gmail.com

۲. استادیار گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه حضرت معصومه (س)، قم؛ mohsenrafaat@gmail.com

چکیده

یکی از اصلی‌ترین اهداف نقد متون کهن که در ادیان و مذاهب، پایه و بنیان مطالعات است، یافتن مؤلف و صاحب متن می‌باشد. نهج‌البلاغه کتابی است که هویت تاریخی آن، از دیرباز منظور نقد شیعه و اهل سنت بوده است. این تحقیق به بررسی روش‌شناختی نقد این متن پرداخته است. روش نقد متن نهج‌البلاغه به جهت ویژگی‌های خاص آن، در سه مرحله کلی نقد تدوین و روایت، نقد منابع و اسناد و نقد سبکی ممکن است و تنها از برآیند این سه مرحله و جمع‌بندی آن، می‌توان نتیجه نقد متن را واقعی و درست تلقی کرد. در خصوص خطب توحیدی با اینکه هریک از مراحل نقد متن، به‌طور جداگانه، دستاوردی متفاوت دارد؛ ولی مجموع مراحل، انتساب خطب مذکور را به امام معلوم می‌کند. رفع آسیب‌هایی چون تک‌مرحله‌نگری، نقد غیر مبتنی بر ادله، تکرار ادعاهای پیشین، در نظر نگرفتن احتمالات معنا و فروکاستن نقد تاریخی به نقد سنتی، به پیش‌گرفتن روش صحیح نقد متن نهج‌البلاغه و غنای آن کمک خواهد کرد. این پژوهش می‌کوشد با روش تحلیلی و نظر به نقد عالی تاریخی‌در کتاب مقدس، برای نقد متن نهج‌البلاغه، الگوی مناسب و جامعی ارائه دهد.

کلیدواژه‌ها: روش‌شناسی، نقد متن، نقد تاریخی، نهج‌البلاغه، خطب توحیدی، آسیب‌شناسی نقد.